

## الدرس السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .  
أما بعد ..

### الحديث الثلاثون

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله تعالى فرض  
فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء  
رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها "

حديث حسن رواه الدارقطني وغيره

### الشرح..

هذا الحديث العظيم هو من جوامع الكلم ، وكما ذكر بعض أهل العلم المتقدمين أن هذا  
الحديث جمع فيه النبي صلى الله عليه وسلم الدين كله في أربع كلمات ، جمع فيها الدين كله والأحكام  
عموماً ؛ لأن الأحكام الواردة عن الله جل وعلا أقسامها أربع وهي : الفرائض والمحارم  
والحدود والمسكوت عنه ، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث هذه الأقسام الأربعة بأوجز  
عبارة وأوضح بيان .

وقوله عليه الصلاة والسلام " إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها " :

المراد بالفرائض واجبات الدين والأمر المتعيّنة والمفروضة على العباد كالصلاة المكتوبة ،  
كالزكاة المفروضة ، كصيام رمضان وكالحج في العمر مرة واحدة .. ؛ فهذه فرائض فرضها الله  
سبحانه وتعالى على عباده وكتبها عليهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم هنا : " فلا تضيعوها " أي لا  
تضيعوا شيئاً من الفرائض بل حافظوا عليها ، قال تعالى { حافظوا على الصلوات والصلاة  
الوسطى } حافظوا على أداء الزكاة ، حافظوا على صيام رمضان ، حافظوا على هذه الفرائض  
التي افترضها الله سبحانه وتعالى عليكم .

فقوله " إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها " أي أوجب عليكم أمورا وعبادات فحافظوا عليها محافظة تامة ولا تضيعوا شيئاً منها ؛ هذا هو القسم الأول .

القسم الثاني : قال عليه الصلاة والسلام : " وَحَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا " : والمراد بالحدود هنا أي حدود الله سبحانه وتعالى التي نهى عباده أن يتجاوزوها وأن ينتقلوا منها إلى ما لم يأذن به الله ، فالحدود أي المأذون به شرعاً سواء أذن به استحباباً أو إباحةً أو وجوباً .

وقوله " فلا تعتدوها " : أي لا تتجاوزوها إلى الشيء المنهي عنه والمحرم عليكم إتيانه .

ولعل مما يوضح ذلك حديث النواس بن سمعان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

" إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران وفي السورين أبواب وعلى الأبواب ستور مرخاة وداع من أول الصراط يقول يا عباد الله ادخلوا الصراط ولا تعوجوا وداع من جوف الصراط يقول يا عبد الله لا تفتح الباب فإنك إن فتحتة تلجه " ، ثم بين ذلك ؛ قال : " أما الصراط فهو الإسلام ، وأما السوران فحدود الله - وهذا موضع الشاهد من الحديث . - ، والذي يوجد خارج السورين هو المحارم " فمعنى قوله " إن الله حدَّ حدوداً فلا تعتدوها " أي لا تخرجوا من حدود المأذون به المشروع إلى الحد المحرم .

فمعنى قوله " إن الله حد حدوداً " : أي أذن لكم في شرعه بأمور ؛ منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب ومنها مندوب ؛ فتكونون في هذه الحدود التي أذن الله سبحانه وتعالى لكم بها ، وأما ما تجاوز ذلك فهو حرام ؛ ولهذا قال هنا " فلا تعتدوها " أي : لا تنتقلوا عنها إلى الشيء الذي حرمه الله ونهاكم عنه ، ولهذا في حديث النواس قال : " وفي السورين أبواب وعلى الأبواب ستور مرخاة " ثم بين ذلك قال والأبواب محارم الله فالذي يدخل في شيء من هذه الأبواب يخرج من الحدود قال " إن الله حد حدوداً " فإذا فتح هذه الأبواب - أبواب الحرام - فإنه خرج من الحدود التي نهاه الله سبحانه وتعالى أن يتجاوزها .

" وحرّم أشياء فلا تنتهكوها " : أي نهاكم ومنعكم من فعلها ، والله سبحانه وتعالى لا ينهى عباده عن شيء ولا يجرمه عليهم إلا لما فيه من الضرر عليهم في دنياهم وأخراهم .

" فلا تنتهكوها " : وانتهاكها هو ارتكابها وفعلها ؛ أي لا تدخلوا في شيء من هذه المحرمات التي نهاكم الله سبحانه وتعالى عنها .

وهذا يتناول عموم المحرمات وأخطرها الشرك ثم القتل والزنا والسرقة وغير ذلك من المحرمات التي حرمها الله سبحانه وتعالى على عباده .

" وسكت عن أشياء رحمة لكم " : أي لطفاً وتفضلاً ومنأً من الله سبحانه وتعالى على عباده .  
" غير نسيان " : كما قال عز وجل { وما كان ربك نسياً } ، فهو سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك غير نسيان { لا يضل ربي ولا ينسى } .

" رحمة بكم " : هذه الأشياء التي سكت عنها ؛ سكت عنها رحمةً للعباد غير نسيان ، والمطلوب من العباد في مثل هذا ألا يبحثوا عنها ، وهذا في زمن النبي عليه الصلاة والسلام يتناول الأمور التي سكت الله جل وعلا عن بيانها ؛ ولهذا أمثلة : مثل فريضة الحج ؛ قال عليه الصلاة والسلام " إن الله فرض عليكم الحج فحجوا " فأحد الصحابة قال أفي كل عام ؟ قال عليه الصلاة والسلام " لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم " ؛ فيدخل في قوله سكت عن أشياء مثل هذا ؛ يعني الأشياء التي يُخشى أن يُسأل عنها فتُفرض على العباد ، وتكون واجباً على العباد .

فالذي سكت الله عنه سكوته عنه تبارك وتعالى هو عن غير نسيان ؛ وإنما هو رحمة للعباد فعلى العباد أن لا يبحثوا عن ذلك ؛ ولهذا قال " لا تبحثوا عنها " ، والسكوت هنا - المضاف إلى الله سبحانه وتعالى - المراد عدم ذكر حكم في الأمر لا بإيجاب ولا بتحريم ؛ أي الذي لم يأت فيه حكم ؛ لم يقل أنها واجبة أو محرمة .

" لا تسألوا عنها " : لا تقولوا مثلاً : هل هي واجبة ؟ هل المطلوب أن نفعل هذا مرة فقط أو أكثر ..

وأيضاً بعد زمانه عليه الصلاة والسلام يتناول هذا ذم أنواع الأسئلة المبنية على التكلف والتنطع ، والمبنية على الخوض في أحكام الله سبحانه وتعالى أو القول على الله بغير علم { لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون } فكل ذلك مما يُنهى عنه ويُذم من الأسئلة .  
فهذه أربع كلمات في هذا الحديث أتت على الدين كله بأقسامه الأربعة .

قال الشيخ عبد المحسن العباد في شرح الحديث :

[ الأول : الحديث حسنه النووي ، ومن قبله أبوبكر في السمعاني كما قال ابن رجب ، وفي سنده انقطاع لكن ذكر ابن رجب ما يشهد لمعناه فقال : وقد روي معنى هذا الحديث

مرفوعاً من وجوه آخر ، خرجه البزار في مسنده والحاكم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ثم تلا هذه الآية {وما كان ربك نسياً} ، وقال الحاكم صحيح الإسناد ، وقال البزار : إسناده صالح .

الثاني : قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم : فحديث أبي ثعلبة قُسم فيه أحكام الله أربعة أقسام فرائض ومحارم وحدود ومسكوت عنه ؛ وذلك يجمع أحكام الدين كلها ، قال أبو بكر السمعاني : هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين ، قال : وحكي عن بعضهم أنه قال : ليس في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث واحد أجمع بانفراده لأصول العلم وفروعه من حديث أبي ثعلبة ، قال : وحكي عن وافلة المزني أنه قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين في أربع كلمات ، ثم ذكر حديث أبي ثعلبة ، قال ابن السمعاني : فمن عمل بهذا الحديث فقد حاز الثواب وأمن العقاب لأن من أدى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود وترك البحث عما غاب عنه فقد استوفى أقسام الفضل وأوفى حقوق الدين لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث . انتهى ] .

## الشرح..

هذه الكلمات لأربعة من أهل العلم في التنويه بهذا الحديث وبيان مكانته العظيمة ، الأولى قول ابن رجب : " فحديث أبي ثعلبة قُسم فيه أحكام الله أربعة أقسام : فرائض ومحارم وحدود ومسكوت عنه " ؛ الثانية قول السمعاني : " هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين " ، الثالثة لأحد أهل العلم قال : " ليس في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث واحد أجمع بانفراده لأصول العلم وفروعه من حديث أبي ثعلبة " ، والرابعة قول المزني : " جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين في أربع كلمات ، ثم ذكر حديث أبي ثعلبة " .

ثم ختم بقول ابن السمعاني : " فمن عمل بهذا الحديث فقد حاز الثواب وأمن العقاب " ، وبيّن ذلك فقال : " لأن من أدى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود وترك البحث عما غاب عنه فقد استوفى أقسام الفضل وأوفى حقوق الدين لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث " .

[ثالثاً : قوله "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها" : أي أوجب أشياء وجعل فرضها حتماً لازماً كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، فيجب على كل مسلم الإتيان بها كما أمر الله دون ترك لها أو حصول إخلال في فعلها ] .

### الشرح..

هذا القسم الأول من الأقسام الأربعة ؛ وهو الفرائض " إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها " أي أوجب عليكم أشياء وجعلها فرضاً ختماً لازماً متعيناً والواجب على العبد مع الفرائض هو الامتثال والمواظبة وعدم تضييعها

[رابعاً : قوله "وحد حدوداً فلا تعتدوها" أي شرع أموراً هي واجبة أو مستحبة أو مباحة ؛ فلا يتجاوز تلك الحدود إلى غيرها فيقع في أمر حرام وذلك كالمواريث التي بينها الله عز وجل في كتابه ؛ فلا يجوز لأحد أن يتعدها وأن يأتي بقسمة تخالفها ، وتأتي الحدود مراداً بها ما حرم الله فيكون الواجب على المسلم أن لا يقربها كما قال الله عز وجل {تلك حدود الله فلا تقربوها} .

### الشرح..

هذا القسم الثاني وهو الحدود " وحد حدوداً فلا تعتدوها " ؛ والحدود يوضحها ما يأتي بعدها فإذا قال {تلك حدود الله فلا تقربوها} فالمراد بالحدود المحرمات التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها ، وإذا قال "حدّ حدوداً فلا تعتدوها" أي فلا تجاوزوها إلى الشيء الذي منع منه وحرم على عباده فعله ؛ ولهذا فإن الحدود في هذه القسمة الرباعية هنا المراد بها الشيء المأذون به ، الذي أذن الله سبحانه وتعالى لعباده بفعله سواء كان هذا الإذن إيجاباً أو استحباباً أو إباحة ، ومعنى فلا تعتدوها أي فلا تذهبوا إلى خارج هذه الحدود من الأمور الممنوعة المحرمة المنهي عنها ؛ بل كونوا في حدود المأذون به سواءً إباحةً أو استحباباً أو وجوباً لكن إياكم أن تتعدوا ذلك إلى ما حرمه الله .

[خامساً : قوله "وحرم أشياء فلا تنتهكوها": أي أن ما حرمه الله لا يجوز للمسلمين أن يقعوا فيه ؛ بل يتعين عليهم تركه كما قال صلى الله عليه وسلم " ما نهيتكم عنه فاجتنبوه " ] .

## الشرح..

وهذا القسم الثالث: وهو المحرمات التي حرمها الله سبحانه وتعالى على عباده ؛ فالواجب على العباد تجاه المحرمات أن لا ينتهكوها وأن لا يقربوها وأن لا يفعلوا شيئاً منها ، ونضير ذلك قوله عليه الصلاة والسلام "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه" ، ولهذا نضائر من ذلك قوله تعالى {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} .

فالواجب على العباد تجاه المحرمات أن لا يقربوها وأن لا ينتهكوها وأن لا يفعلوا شيئاً منها .

[ سادساً : قوله " وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها " : أي هناك أمور لم يأت النص عليها بالكتاب والسنة فلا يُشتغل بالبحث عنها والسؤال عنها وذلك مثل السؤال عن الحج في كل عام الذي أنكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على السائل وقال " ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم " ،

وكالسؤال عن الشيء الذي لم يُحرم فيترتب عليه التحريم بسبب السؤال كما ثبت بيان خطورته في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد زمنه صلى الله عليه وسلم لا يُسأل الأسئلة التي فيه تنطع وتكلف ، والمعنى سكت عن أشياء فلم يفرضها ولم يوجبها ولم يحرمها ، فلا يُسأل عنها ، وقد قال الله تعالى { يا أيها الذين ءامنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفورٌ حلِيم قد سألتهم قومٌ من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين } قال ابن رجب رحمته الله : وأما المسكوت عنه فهو ما لم يُذكر حكمه بتحليل ولا إيجاب ولا تحريم فيكون معفواً عنه لا حرج على فاعله ، وعلى هذا دلت هذه الأحاديث المذكورة هاهنا كحديث أبي ثعلبة وغيره ] .

## الشرح..

هذا القسم الرابع من هذه الأقسام وهو المسكوت عنه ، وقد بينه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله "وسكت عن أشياء" ، والمراد بسكت عنها أي لم يذكر فيها حكماً ؛ ومثل هذا عفو من الله سبحانه وتعالى - ليس عن نسيان - .

ومثل هذا الأمر الذي هو عفو ورحمة للعباد الواجب على العباد أن لا يسألوا عنه ، وفي زمانه عليه الصلاة والسلام يدخل تحت هذا المنهي عنه الأسئلة التي يُخشى أن يترتب على سؤالها حكمٌ قد لا يستطيعها العباد " ذروني ما تركتكم .. " فمثل هذه الأسئلة تهلك الاس .

وبعد زمانه عليه الصلاة والسلام يدخل في هذا الأسئلة المبنية على التنطع والتكلف ؛ فتجد الإنسان لا يفكر في السؤال عن واجبات الدين التي افترضها الله سبحانه وتعالى عليه ، ولا يفكر في السؤال عن المحرمات التي منعها الله سبحانه وتعالى من فعلها ؛ ثم يشغل نفسه بأسئلة وتنطعات يثير أسئلة من هذا القبيل معرضاً عن ما يجب عليه معرفته إلى أمور البحث فيها هو من قبيل التنطع والتكلف؛ وهذا نهي عنه صلوات الله وسلامه عليه .

إذاً الأصل المسكوت عنه من الأحكام أن لا يسأل عنه ، والأسئلة تكون في الذي فرضه الله أو في الذي حرمه الله أو في الذي حده الله لعباده .

أما الشيء الذي سكت الله تبارك وتعالى عنه فعلى العبد أن يكون على علم راسخ بأن الله جل وعلا لا يضل ولا ينسى وأن دينه سبحانه وتعالى كامل وأن سكوته عن ذلك رحمة للعباد

وإضافة السكوت إلى الله سبحانه وتعالى تكون بإمرار هذا الحديث كما جاء ، وإثبات المعنى الذي دلّ عليه الحديث ، والمعنى الذي دلّ عليه الحديث ظاهر وواضح ؛ فقال سكت عن أشياء ؛ أي لم يذكر فيها حكماً لا إيجاب ولا تحريم ولا تحليل ؛ فثبت الحديث كما جاء ويؤمر كما ورد على المعنى الظاهر المتبادر من الحديث .

### [ سابعاً : مما يستفاد من الحديث :

الأول : أن من شريعة الله ما هو فرض لازم يجب فعله وعدم إضاعته .

ثانياً : أنه يجب الوقوف عند الواجبات والمستحبات والمباحات ؛ فلا تُتجاوز إلى المحرمات .

ثالثاً : أن كل ما حرمه الله يتعين على المسلم تركه والابتعاد عنه .

رابعاً : أن ما لم يأت فيه تحريم ولا تحليل فهو عفو لا يُسأل عنه .

### الشرح..

هذه أربع فوائد مستفادة من كل كلمة من هذه الكلمات ، وإذا تأملنا هذه الكلمات الأربع الواردة في الحديث نجد أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر أقسام أحكام الله جل وعلا وذكرها أربعة أقسام، وأيضاً ختم كل قسم من هذه الأقسام بالواجب نحوه ؛ فالفرائض لا تُضيّع ، والحدود لا يعتديها العبد ولا يتجاوزها ، والمحرمات لا ينتهكها ولا يقربها ، والمسكوت عنه لا يبحث

عنه ، وإذا أتى العبد بهذه الأمور الأربعة كما أُمر فإنه يكون كما قال ابنُ السمعاني رحمه الله تعالى ؛  
يكون قد حاز الثواب وأمن العقاب وأوفى حقوق الدين .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلّم على عبدك  
ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

\* \* \*